ARID Journals

ARID International Journal of Social Sciences and Humanities (AIJSSH)

Journal home page: <http://arid.my/j/aijssh>

مَجَلَّةُ أُرَيْدُ الدَّوْلِيَّةُ لِلْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ

المجلد الثاني، العدد الخاص، آب 2020 م

Features of agricultural and irrigation activity at the Nabatean

ملاح من النشاط الزراعي والإروائي عند الأنباط

م.د. حسنين عبد الرزاق حسن

كلية التربية- الجامعة المستنصرية- العراق

hasan_alhadi74@yahoo.com

arid.my/0004-7169

<https://doi.org/10.36772/arid.aijssh.2020.s.2126>

ARTICLE INFO

Article history:

Received 21/04/2020

Received in revised form 17/05/2020

Accepted 25/06/2020

Available online 15/08/2020

<https://doi.org/10.36772/arid.aijssh.2020.s.2126>**ABSTRACT**

The Nabataeans appeared in Jordan around the fourth century B.C., they were able to establish a kingdom and expand their political influence during the second century B.C. and thus covered most of the lands of the Levant.

The Nabataeans interest in agriculture with its vegetable and animal branches, and made great efforts to enrich it by devising appropriate irrigation methods for the topography of the region, so they established water channels, they dug ground tanks and built types of dams in order to secure the irrigation of their farms and the irrigation of their animals.

King Al-Nabat Al-Harith IV (9 BC-AD 4) had a great influence on the prosperity of agricultural resources - after the Nabataeans lost their commercial resources - who began planning and developing the agricultural reality, which enabled them to achieve self-sufficiency in the crops of wheat and barley as well as beans and corn, especially in the northern and northeastern regions of the Kingdom where abundant rains fall, as the Nabataeans did not neglect the lands with rocky soil - where they worked hard to overcome the harsh environment in order to deliver water through the channels to the dry lands to water palm trees, olives and grapes, as well as preserving cattle sheds by providing drinking water for cows, sheep and goats.

المُلخَص

ظهر الأنباط في بلاد الأردن بحدود القرن الرابع قبل الميلاد، استطاعوا أن يؤسسوا مملكة ويوسعوا نفوذهم السياسي أبان القرن الثاني قبل الميلاد، ليشمل معظم أراضي بلاد الشام .

إهتم الأنباط بالزراعة بشقيها النباتي والحيواني، إذ بذلوا جهوداً مضنية لإثرائها، عبر إبتكارهم وسائل ري ملائمة لتضاريس المنطقة، فأنشأوا شبكة من قنوات المياه، وحفروا عدداً من الخزانات، وأقاموا أنواعاً من السدود، بغية تأمين سقي مزارعهم، وإرواء دوابهم .

كان لملك الأنباط الحارث الرابع (9 ق.م - 4 م) الفضل الكبير في إزدهار موارد الزراعة – بعد أن فَقَدَ الأنباط مواردهم التجارية – الذي شرع بالتخطيط للنهوض بالواقع الزراعي وتطويره، إلى الحد الذي مكنهم من تحقيق الاكتفاء الذاتي لمحصولي القمح والشعير، فضلاً عن الباقلاء والذرة، لا سيما في المناطق الشمالية والشمالية الشرقية من المملكة، التي تمتعت بهطول أمطار وفيرة، كما لم يهمل الأنباط الأراضي ذات التربة الصخرية، إذ عملوا بكل جهد من أجل تذليل البيئة القاسية، بغية إيصال المياه عبر القنوات إلى الأراضي الجافة، لسقي أشجار النخيل والزيتون والكروم، فضلاً عن إدامة حظائر الماشية، برفدها مياه الشرب لدواب الأبقار والأغنام والماعز .

الكلمات المفتاحية : تراث، حضارة البتراء، الزراعة، الري.

المقدمة

تعدّ الموضوعات التي تبحث في الجوانب الحضارية – زراعة، صناعة، تجارة، عمران وغيرها – من تاريخ العرب القديم، ذات أهمية خاصة، كونها تُظهر مكامن الرُّقي والإزدهار الذي عاشه العرب، في العصور التي سبقت ظهور الإسلام .

اختص البحث بالتقصي عن الأنشطة الزراعية والإروائية التي أبدع فيها الأنباط لمواجهة تدهور نشاطهم التجاري أبان القرن الأول قبل الميلاد، إذ ابتكروا الطرق الجديدة التي أفادت إقتصادهم الزراعي، واقتبسوا الوسائل التي لم يألّفوها في حضارتهم .

كان لندرة المؤلفات العربية المعنيّة بتاريخ الحضارة النبطية، سبباً مهماً في الإستعانة بتقارير اللجان الأثرية التي نُقبت في خرائب قرى بلاد الشام، والأردن منها بالخصوص، حيث كشفت تفاصيل دقيقة عن أساليب الزراعة والري وأهم المحاصيل الزراعية والحيوانية التي شكّلت عماد الإقتصاد النبطي، ومنها (الإدارة البيئية عند الأدوميين والأنباط) للباحث علي سلمان الشباطات .

سيتم عرض البحث على شكل محاور وبحسب أهميتها في الأدوار التاريخية، مبتدئين بمصادر المياه: كالعيون والينابيع والآبار والبُرك والخزانات، ثم التعرض لأهم الأنظمة الإروائية: كقنوات الري والسقي والشرب، وأخيراً سيتم التقصي عن الأنظمة الزراعية: متضمنين فيها طرق الزراعة، وأهم المحاصيل الزراعية والحيوانية .

تمهيد

تُعد مملكة الأنباط من الممالك العربية القديمة التي تميزت بزهو حضارتها وحيوية شعبها وحصانة مدنها، بدأت المملكة بالظهور كمشيخة مع نهاية القرن الرابع قبل الميلاد في البتراء، الواقعة إلى الجنوب من العاصمة الأردنية الحالية عمّان، لم تلبث تلك المشيخة أن أعلنت النظام الملكي ليمتد نفوذها من شمال الحجاز الى جنوب سوريا ولبنان وجنوب فلسطين، فضلاً عن بلاد الأردن، أقل نجمها السياسي والاقتصادي أثر السيطرة الرومانية عليها عام 106 م. [1]

أهتم الأنباط في بداية نشوئهم بالتجارة وأمتنوها كحرفة رئيسة لضمان معيشتهم، ساعدهم بذلك الموقع الجغرافي لبلادهم الذي ربط شبه جزيرة العرب بالممالك اليونانية والرومانية، إلا أن الحال لم يدم طويلاً، فقد تغيرت طرق التجارة البرية والبحرية بفعل السياسات الاقتصادية التي تبنتها الأمبراطوريتين الرومانية والفارسية،

مما حدى بملوك الأنباط، البحث عن منهل اقتصادي آخر بدل التجارة بغية الحفاظ على مقومات مملكتهم – بعد أن فقدوا تجارتهم التي أمدتهم بالمال والغذاء - فعمدوا على الإستعانة بالزراعة وبذلوا جهودا كبيرة لازدهارها، حتى تمكنوا من الحفاظ على حياتهم وحياة رعاياهم. [2]

مورست الزراعة بشقيها النباتي والحيواني في مناطق بلاد الشام منذ العصر الحجري النحاسي، [3] شملت الأنشطة الزراعية مناطق الأردن الحالي وجنوب سورية ولبنان والنقب (أي أراضي النبط) إذ شكّلت القرى النبطية مجمّعات زراعية واسعة دبّرت شؤونها المعيشية بالاعتماد على زراعة المحاصيل الحقلية وتربية الحيوانات وتدجينها، ساعدهم بقيام هذا النشاط، وفرة الأمطار وخصوبة التربة، [4] فقد عثرت فرق التنقيب الأثرية عن وجود حبوب متفحمة من محاصيل القمح والشعير والبقوليات كالعُدد والحمص إضافة إلى أشجار الزيتون، [5] فضلا عن عثورها على رسومات جسّدت أشكالاً لأنواعاً معينة من الحيوانات تمثلت بالماعز والخراف والأبقار والبغال والخنازير، التي خُمن زمن وجودها حدود الألف الرابع قبل الميلاد، [6] وهو عصر الحوريون (سكان الكهوف) الذين برعوا في الزراعة والصيد، وما أن انتهى دور الحوريين التاريخي، حتى ظهر الأدوميون (سكان البتراء القدماء) مكانهم، الذين ساهموا في تكوين حضارة مزدهرة، أوروها للأنباط. [7]

أولاً: مصادر المياه

تعددت مصادر المياه عند الأنباط وتنوعت أشكالها، إلا أنهم افتقروا للمصادر الدائمة كالأنهار والبحيرات، لذلك نجدهم قد تمسكوا بما وفرته لهم بيئتهم الصحراوية من آبار وعيون، فطوروها وحافظوا على ديموميتها، وتجنبوا تبذير مياهها، [8] والتي من أهمها:

1. الآبار

برع الأنباط في حفر الآبار كما برع فيها الأدوميون من قبل، في إتقانهم لمهارة القيافة، [9] عبر رجل عارف باستتباب المياه يدعى النصّات، وهو الذي يضع أذنه على سطح الأرض ويسمع صوت المياه في باطن الأرض ليتعرف على وجود الماء، كما تمّ الإستدلال بمكان المياه الجوفية عن طريق نمو بعض الأعشاب الظاهرة فوق سطح التربة، [10] وعند تحديد موقع المياه الجوفية يصار إلى عملية حفر البئر أو نقر صخوره، وبظهور الماء تطلّى جدرانه بمادة الملاط، [11] لكي لا يتسرب الماء إلى خارج البئر. [12]

اتخذت الآبار النبطية أشكالاً مختلفة، فمنها المربع والدائري والمستطيل والأنجاصي [13]، استخدمت الحجارة كغطاء لسد فتحة البئر، تلافياً لسقوط الشوائب الضارة فيه، وإخفاؤه عن أنظار الغرباء والأعداء، ويلاحظ أن قسماً من هذه الآبار استخدم لأغراض عسكرية، للتزود بالماء أثناء السير للمعارك في الصحراء، من دون أن يتعرف على وجودها العدو، كما في آبار خربة الخالدي والنقب وخربة الذريح (الواقعة في الشمال الغربي من الأردن) وقد بلغت الآبار النبطية من الكثرة، بحيث أحصى الشباطات [14] الآبار الموجودة في أم البيار (سلع) وحدها، فبلغت (340) بئراً، حفرت كلها أبان الحكم النبطي، وهذا يدل على وفرة المياه الجوفية في تلك المنطقة، فضلاً عن براعة الأنباط في حفر الآبار واستخراج مائها .

2. العيون والينابيع

تعد العيون والينابيع من المصادر المائية المهمة عند الأنباط، ذلك لعذوبة مياهها قياساً بالمصادر الأخرى، فضلاً عن قوة ضخها للمياه بحيث تستطيع الوصول إلى مناطق بعيدة، وهذا ما نجده في منطقة الحميمة، إذ تُغذي أحد عيونها المعروفة باسم "عين القناة" الخزان الواقع في وسط المدينة بمسافة (18.901 كم)، ساعدها بذلك ارتفاع أرض العين قياساً بموقع الخزان المنخفض، أما العين الأخرى المسماة بـ"عين الجمام" فتروي الأراضي الزراعية الواقعة على مسافة (7.625 كم)، [15] كذلك رَوّت عيون منطقة خربة الذريح (عين الذريح وعين الفضيح وعين اللبان) المناطق الزراعية المجاورة لها بمسافة (6 كم). [16]

أمّا في مدينة البتراء فهي خالية تماماً من الينابيع، مما اضطر أهالي المدينة الاستعانة بالينابيع والعيون المجاورة لهم، كما في نبع السيف [17]، ونبع عين موسى [18] وعين أم سراب التي غدت البتراء بالمياه عبر منطقة السيق، ونبع براق الذي غذى المنطقة الجنوبية من البتراء، استخدمت هذه القنوات لإرواء البساتين الصغيرة المزروعة بالمحاصيل الحقلية، كالسمسم والذرة والزيتون واليقطين والخس .

3. السدود

جاءت السدود النبطية على غرار السدود اليمنية القديمة، لاسيما تلك التي شيدها السبئيون في مأرب، وفي عموم بلاد العرب السعيدة (اليمن). [19]

تُعد السدود النبطية من أفضل الوسائل التي من شأنها حصر مياه السيول، وجمع كميات الأمطار المنهمرة، لذا عمل الأنباط على تشييدها لحزن المياه الزائدة، بغية استخدامها في أوقات القحط والجفاف. [20]

من أبرز تلك السدود، سد كلخة الواقع إلى الجنوب الغربي من منطقة الحميمة، المُشيد من الحجارة الرملية الكبيرة، مع الحجارة الصغيرة والجص لسد الثغرات الظاهرة في جدرانه، أما عرض جداره فبلغ (4.36 متراً) وبطول (21 متراً) قُدِّرَت مساحة طول السد الكلية بحوالي (78 متراً) وبعمق (3.65 متراً)، وهو من أكبر السدود النبطية التي تم اكتشافها لحد الآن، خاصة وأنه غذى مساحات واسعة من أراضي الحميمة. [21]

ومن السدود النبطية الواقعة في جنوب المملكة، سد أم درج الواقع أسفل جبل أبو خشبية على بُعد (12 كم) شرق وادي رم، خُصِّصَت أغلب مياه هذا السد لغرض توفير المياه اللازمة لمراعي الماشية، من الأبقار والأغنام والماعز، بلغ طول جدار هذا السدّ (8 متراً) وعرضه (2 متراً) وبارتفاع (2 متراً)، وهو صغير نسبياً قياساً بسد كلخة. [22]

كذلك شملت المناطق الشمالية من بلاد النبط تشييد عدد من السدود، أهمها تلك التي أنشأت في منطقة جأوا، [23] وأم الجمال وسد السيق في البتراء، إذ خصصت أغلب تلك السدود لري مزارع القمح والشعير والذرة. [24]

4. البرك والخزانات

تطلّع الأنباط لضرورة الاستفادة من أماكن التقاء السيول والمنحدرات، ومناطق تجمع المياه في المنخفضات، فأنشأوا فيها بركاً وخزانات، نُحِتَ قسماً منها في الصخر الرملي، واتخذ القسم الآخر من المنخفض الطبيعي، شكلاً له كبركة أو خزان، لذا نجد تباين أحجامها تبعاً لتباين تضاريس المنطقة، [25] وقد قام الأنباط بإحاطة تلك البرك والخزانات بجدار مبني من الصخور المُقَطَّعة، مستخدمين معها الملاط لتثبيت وتقوية جدران الخزان، ولمنع تسرب المياه، تم تغطية الخزانات بواسطة أقواس مرصوفة مع بعضها البعض، كما خصصت أحواض بجوارها لسقاية المواشي، وقد أحصى الفرجات [26] أعداد البرك الموجودة في منطقة الحميمة بالتحديد، فبلغت أكثر من خمسين بركة، وهذا دليل واضح على كثافة السيول المتجمعة في تلك المنطقة، فضلاً عن نشاط الأنباط المعماري في حصرها واستثمارها.

ثانياً: الأنظمة الإروائية

تميزت بلاد النبط بقلّة سقوط الأمطار في أراضيها قياساً بالدول المطلة على بحر الروم، فضلاً عن افتقارها للأنهار الطويلة دائمة الجريان، لذلك اعتمد الأنباط في زراعتهم ومشاربهم، على مياه العيون والينابيع والآبار،

فشقوا السواقي وحفروا القنوات وفق نظام هندسي متطور ذي مزايا اقتصادية، مَنَعَ من تبذير المياه وقُلِّلَ من تبخُّرها، فظهرت عندهم عدة أنماط من قنوات الري [27] كما ابتكروا عدَّة طرق في جمع المياه وخزنها للاستفادة منها في مواسم الجفاف، فأقاموا السدود والبرك للاستفادة من المياه الفائضة شتاءً والتخلص من السيول الجارفة بحصرها واستخدامها في مواسم القحط. [28]

ففي المناطق التي تمتعت بهطول كميات وفيرة من المياه، المتمثلة بالمناطق الشمالية الشرقية، وفي بعض المناطق الوسطى من أراضي المملكة، استغلَّت فيها سفوح الجبال وأوديتها لإقامة زراعة أشجار الفاكهة وبعض محاصيل الحبوب، مستفيدين من ارتفاع قمم تلك الجبال، لجَرَّ مياه الأمطار إلى الأسفل عبر قنوات تمَّ شقها على طول تلك السفوح، كما تخلصوا من عملية انجراف التربة بعمل مصاطب Terracing حجرية [29] بُنيت بصورة عرضية على سفوح الجبال لتتيح أكبر فرصة ممكنة لتغلغل مياه الأمطار إلى عمق التربة، عند توقف المياه المنجرفة أمام تلك المصاطب، واختلفت أنواع المصاطب باختلاف نوع التربة وكمية المياه الهاطلة ودرجة انحدار السطح، مع نوع وطبيعة المحاصيل المزروعة، [30] فقد تكون المصاطب على شكل تلييلات صغيرة من الحجارة المرصوصة عرفت بـ(تلييلات العنب)، [31] أو قد يستعاض عن تلك المصاطب بوجود أشجار العرعر الكبيرة [32] التي عملت على تقليل سرعة جريان المياه وخففت من عملية انجراف التربة، إلا أن أكثر المصاطب شيوعاً هي المصاطب الحجرية ذات الشكل الصندوقي التي أُقيمت بصورة أفقية على سفوح الجبال برصف الحجارة مع بعضها البعض بطول زاد عن (12 متراً) وبعرض (3 متر) وبارتفاع تجاوز (30 سم)، [33] شكَّلت هذه المصاطب مجتمعة أشبه ما يكون بدرجات سَلَم أُقيمت على طول سفح الجبل، وهي لا تمنع جريان المياه إلى أسفل السفح، وإنما تسمح بجريانه بعد أخذ كمية المياه المخطط لها عبر تلك المصاطب، مروراً بالمصاطب الأخرى، نزولاً إلى أسفل الجبل. [34]

أمَّا الأراضي الزراعية الواقعة في البادية والمناطق الصحراوية البعيدة عن مصادر مياه الأمطار، فسقيت بواسطة عدة قنوات أهمها:

1. قنوات تأخذ المياه من الآبار والعيون والينابيع، كُشِفَتْ هذه القنوات من قبل لجان التنقيب الأثرية التي عملت في المدن والقرى النبطية، التي بينت أنها أُسْتُخِدِمَتْ لري الأراضي الزراعية، وكمشارب للمشاة [35] كما في قنوات منطقة أم البيرة (سلع) [36] والحميمة وفي البتراء والنقب وأم الجمل وغيرها.

أتقن الأنباط سُبُل الإفادة من مياه الآبار والعيون والينابيع لري مزارعهم، فبرعوا بشق السواقي والقنوات، وأظهروا فيها خبرة هندسية فذة، وجهوداً مضنية، وتكاليفاً باهضة، لاسيما القنوات التي حُفرت عبر مسافات طويلة لسقي المستوطنات الزراعية البعيدة عن مصادر المياه، ويلاحظ أن أغلب تلك القنوات صُمم لري أشجار الفاكهة والحبوب، [37] ويبدو أن تصميمها جاء بفعل تخطيط وإيعاز حكومي من قبل الإدارة العليا في المملكة النبطية، كونها كلفت مبالغاً وجهوداً تفوق قدرة أفراد المجتمع على فعلها، [38] خاصة أنها عالجت لتخطي الأودية والحوازج الطبيعية، ببناء جسور ومساند حجرية أوصلت المياه عبر قنواتها للأراضي الزراعية.

أمّا طريقة عمل تلك القنوات، فقد نحتت على الحجارة الكلسية المُقطّعة، ثم رُصفت تلك الحجارة مع بعضها البعض مكونة سلسلة حجرية طويلة نُحِتَ على سطحها تجويف القناة، قدرت أحجام تلك الحجارة المقطعة ما بين (100-115 سم) طوياً و(30-35 سم) عرضاً و(30 سم) ارتفاعاً – سمكاً، نُحِتَ بداخلها تجويف يشبه حُفَر السواقي بعرض (12 سم) وبعمق (6 سم)، علماً أن تلك الأحجار قد رُبطت مع بعضها البعض بواسطة مواد لاصقة كي تمنع تسرب المياه أثناء جريانها عبر المسافات البعيدة. [39]

2. القنوات التي جلبت مياهها من الآبار والعيون والينابيع إلى المجمعات السكنية التي خصصت لري البساتين الصغيرة وحدائق المدن، فضلاً عن استخدامها لأغراض الشرب والغسل .

تميزت هذه القنوات بتقنية عالية التصميم وتكاليف باهضة، كونها رُكبت بواسطة أنابيب فخارية، وبعضها الآخر صُنِعَ من مادة الرصاص، جلبت المياه من مصادرها العذبة لتصب في الخزانات الخاصة بالمجمعات السكنية، [40] وهذه الخزانات كانت على نوعين، هما:

أ. الخزانات الرئيسية الضخمة، وهي التي زودت المدن بمياه الشرب، كما في خزانات الرملة بالبتراء، التي عُدت بمثابة خزان أمان يضمن انسيابية المياه للأحياء السكنية ويوفر لهم الماء في مواسم الجفاف، وعند ضعف ضخ مياه العيون والينابيع. [41]

ب. الخزانات البيئية، وتتغذى هذه الخزانات – المشيدة في البيوت النبطية – [42] عن طريق الخزانات الرئيسية بواسطة شبكة من الأنابيب الممتدة بين الأحياء السكنية، ويبدو أن هذا النظام من الشبكات قد شَيّد بإيعاز من الحكومة النبطية، لتأمين الإستقرار السكاني داخل المدن عبر استمرار تدفق المياه إليهم. [43]

ثالثاً: الأنظمة الزراعية

لم يهتم الأنباط خلال حياتهم البدوية – أبان القرن الرابع قبل الميلاد – بالزراعة، وذلك لأن قوانينهم منعتهم من ذلك " حرّموا على أنفسهم أن لا يزرعوا حباً ولا يشربوا خمرأً ولا يشيدوا بيتاً... "، [44] إلى أن بدأ نشاطهم الزراعي مع بداية قيام نظامهم الملكي، نظراً لازدياد أعداد القبائل المنضوية تحت حكمهم، [45] فقد احتاجوا لمحاصيل حقلية ونتاج حيواني يؤمن لهم معيشتهم، بالرغم من أن الزراعة لم تكن الحرفة الرئيسة عندهم. إذ إن تدهور التجارة وتضاؤل أرباحها- أحدثت طفرة نوعية في القطاع الزراعي وطرق الإرواء مع بداية حكم الحارث الرابع (9 ق.م-40 م) فأصبحت الزراعة الحرفة الرئيسة عند الأنباط بدل التجارة [46] لا سيما عندما باشر ملكهم الحارث بوضع الخطط اللازمة للنهوض بالواقع الزراعي داخل المملكة، وإيجاد السبل والحلول لتذليل الصعوبات التي تعيق الزراعة، المتمثلة بقلّة هطول الأمطار و ندرة الأنهار دائمة الجريان، فضلاً عن صُغر الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة. [47]

فُدِرَت الأمطار النازلة في المناطق الشمالية من المملكة التبتية مابين (120-150 ملم) سنوياً، بينما بلغت (50 ملم) سنوياً في المناطق الصحراوية الجنوبية، علماً أن كمية الأمطار الواجب توفرها، تزيد عن (200 ملم) سنوياً في حال الزراعة النموذجية. [48]

وبذلك انحسرت المناطق الصالحة للزراعة في الأجزاء الشمالية والشمالية الشرقية من أراضي المملكة وفي الأراضي الضيقة المجاورة للعيون والينابيع وعلى سفوح الجبال من وسط وجنوب البلاد، وهي بصورة عامة ذات مساحات محدودة قياساً بمثلاتها في الشمال. [49]

أما عائدة ملكية الأراضي الزراعية فكانت متنوعة، إلا أن أكثر الأنواع شيوعاً هي أراضي القبيلة التي عمل فيها جميع أفراد القبيلة، امتازت بحدود معلومة، كي يمنع التجاوز عليها، وهناك أراضٍ تابعة للمعبد وهي غالباً ما تؤجّر ويؤخذ ريعها لإدارة شؤون المعبد، [50] إضافة إلى أراضي الملكية الخاصة والعائدة لأفراد المجتمع النبطي فيزرعوها ويجنوا ثمارها لحسابهم الخاص، كما توجد أراضٍ خاصة تعود لملوك الأنباط وأسرهم، وهذه غالباً ما تكون متميزة، كونها تحوي أصنافاً من المحاصيل ذات المردود المربح كالبلسم والزعفران. [51]

وفيما يخصّ مراعي الحيوانات، فنجد أن قسماً من الدواب كالإبل والماعز، اعتاشت على الأعشاب والنباتات الطبيعية النامية في الصحراء، بينما اقتات القسم الآخر من الأغنام والأبقار والطيور الداجنة، على مخلفات

المحاصيل الزراعية من قشور سنابل القمح وأوراق الأشجار وعلى دقيق نواة التمر المطحون [52] أما مشارب الماشية فأقيمت خاصة بجانب خزانات المياه وعند البرك والسواقي، وغُذّت الأغنام والبغال والماعز والثيران والجمال من أهم الحيوانات التي اعتمد عليها الأنباط في حياتهم الاقتصادية، سواء أكان ذلك بأكل لحومها والاستفادة من ألبانها وأصوافها وجلودها، أو الاعتماد عليها في عملية النقل والركوب لحمل الأمتعة والمؤن فضلاً عن تأدية بعض المهام الزراعية والصناعية. [53]

أما طريقة زرع المحاصيل الزراعية عند الأنباط، فهي مشابهة لما عرفته شعوب بلاد الشرق الأدنى القديم، إذ تبدأ عملية الزرع بتنظيف التربة من الشوائب والأعشاب الضارة، ثم تحرث بواسطة محراث خشبي أو معدني – تبعاً لنوعية المحصول وصلابة التربة – الذي يتم سحبه بواسطة الثيران، [54] وقد تقوم الفؤوس مقام المحراث في حراثة الأرض، وهذا غالباً ما يكون في الأراضي صغيرة المساحة، [55] وبعد الحرث تُدَّر الحبوب أو تغرس الشتلات في التربة، ثم تعزق التربة بواسطة الفؤوس أو المسحاة لغرض تسويتها، وقد يُصار إلى عملية التسميد في الأراضي قليلة الخصوبة باستخدام فضلات الحيوانات أو بذور القطن، [56] ثم تسقى تلك الأراضي بواسطة القنوات وسواقي الري، أو تُروى بمياه الأمطار، وبعد أن ينمو الزرع ويثمر، يُصار إلى عملية الحصاد وجني الثمار باستخدام لوح خشبي تجره الثيران أو البغال، أو بواسطة المناجل لحصد المحاصيل الزراعية. [57]

من أهم المحاصيل الزراعية التي أنتجتها الأراضي النبطية هي: القمح والشعير، اللذان يعدان من أهم محاصيل الحبوب الداخلة كغذاء رئيس في معيشة الأنباط، اختصت أراضي شمال شرق المملكة بإنتاج أفضل أنواع القمح، حيث طلبته منهم مصر وبعض بلدان حوض بحر الروم (البحر المتوسط) [58] كما شهدت بعض المناطق النبطية وفرتها بمحصول التمر، إذ تواجدت أشجار النخيل بقرب الواحات في المناطق الشمالية من المملكة، التي يعتقد أنها جلبت في الأصل من بلاد الرافدين، [59] كذلك شاعت عندهم زراعة السمسم في كثير من أرجاء المملكة الذي دخل في بعض الصناعات المحلية لاستخراج زيت، كما اشتهرت عندهم محاصيل الكروم (العنب) والرمان والتين والتوت والتفاح وهي من محاصيل مناخ بحر الروم (البحر المتوسط)، [60] وازدهرت عندهم زراعة الزيتون والذرة، إذ أنتجوا منها أنواعاً فاخرة، [61] وقد أثبتت التنقيبات الأثرية عدم صحة ما ذكره سترابو Strabo، بأن النبط "استعانوا بزيت السمسم بدلاً من زيت الزيتون لعدم وجود شجرة الزيتون في بلادهم"، [62] ذلك لأن شجرة الزيتون قد نقشت بأغصانها وثمرها عند مدخل السيق وعلى واجهة معبد الخزنة،

وعلى الأواني الخزفية التي رسمها النحات النبطي، فضلاً عن ما عثرت عليه فرق التنقيب الأثرية على عددٍ من معاصر الزيتون في القرى والمدن النبطية كخربة الذريح وخربة التنور وفي منطقة الحميمة وعند أم الجمل. [63]

كما اشتهرت الزراعة النبطية بإنتاج أنواعاً من البقوليات الفاخرة، كالحمص والعدس والبقلاء، فضلاً عن إنتاجها لمحاصيل مهمة، كالبلسم الذي زُرِع في أماكن محدودة من سفوح الجبال، في المناطق الشمالية، كما بيّنت فرق التنقيب، وجود مزارع صغيرة للزعفران والخس والفلفل الأخضر، [64] إذ استعمل قسماً من هذه المحاصيل كغذاء عند الأسر النبطية، وكدواء (مثل البلسم والزعفران) بخلطها مع بعض الزيوت. [65]

الاستنتاج

من خلال ماتم طرحه من مضامين بحثنا المتواضع هذا، يمكننا إيجاز مجموعة من الاستنتاجات، وكما يأتي:

1. امتلاك الأنباط الإرادة الحقيقية في تحدي الصعاب، بعد أن خسروا مواردهم التجارية نتيجة تغيّر طرق التجارة المارة بأراضيهم، إذ أوجدوا بديلاً ناجحاً عن التجارة عبر اعتمادهم على الزراعة، فحافظوا بذلك على حكمهم وضمنوا معيشة شعبهم، بالرغم من أن عاداتهم البدوية القديمة منعتهم من مزاوله الأعمال الزراعية.
2. نجح الأنباط في تذليل قساوة البيئة الصخرية لا سيما في المناطق الوسطى والجنوبية، حيث حفرُوا جداول المياه لمسافات طويلة وأوصلوا مياه الشرب والسقي إلى عاصمتهم البتراء، عبر نحتهم في الصخور، قنوات ذات مواصفات هندسية بالغة الدقة، أفادت من طبيعة انحدار الأرض لإيصال المياه إلى المناطق المنخفضة، كما شيّدوا السدود والخزانات للإفادة منها في مواسم القحط والجفاف .
3. استطاع الأنباط زراعة عدد من المحاصيل الزراعية التي أعانتهم في سد قوتهم اليومي، لاسيما محاصيل الحبوب كالقمح والشعير والذرة، والبقوليات كالباقلاء والحمص والعدس، فضلاً عن محاصيل العنب والزيتون والرمان، كما شهدت بلادهم تربية أنواعاً من الطيور الداجنة والحيوانات المنتجة للألبان كالأبقار والماعز، والحيوانات الخدمية كالأبل والخيول والبغال والثيران .
4. وصل الإقتصاد النبطي إلى درجة الاكتفاء الذاتي، حيث لم يُعَدّ النبطيون بحاجة لمحاصيل البلدان المجاورة، لإطعام عوائلهم، بل على العكس من ذلك، فقد صَدَّروا أصنافاً ذات جودة عالية، من محاصيل القمح والشعير والزيتون والذرة، إلى بلاد سوريا والحجاز ومصر .

قائمة المصادر والمراجع :

- [1] علي، جواد، المُفَصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1993، ج3، ص 6 و 15 ؛ مهرا ن ، محمد بيومي ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، دت ، ص 502 – 503 .
- [2] سقال ، ديزيره ، العرب في العصر الجاهلي ، ط1 ، دار الصداقة العربية ، بيروت ، 1995 ، ص 35-37 ؛ العلي ، صالح أحمد ، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية ، ط1 ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، 2000 ، ص47
- [3] أبو النصر، عادل، تاريخ الزراعة القديمة ، ط1، لامطبعة ، بيروت، 1961 ، ص17-19 ؛ بيزانسون ، جاك، مروج الصحراء في سوريا الشمالية ، ترجمة: يسرى الكجك، الحولية الأثرية السورية، مجلد (43)، لسنة 1994 ، ص33
- [4] سارتر، موريس، التنقل والاقتصاد ومجتمع الجبل في سورية الجنوبية ، ترجمة: بشير زهدي، الحولية الأثرية السورية، مجلد (41) لسنة 1997 ، ص192 ؛ الشديفات، يونس محمد عبد الله، الاستيطان في شمال شرق الأردن في الفترة الرومانية (63ق.م-324م) أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1997، ص97.
- [5] درادكة، صالح ، المياه والزروع في رقعة الأردن الحالي عند الجغرافيين والرحالة العرب ، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العدد (43 و 44) لسنة 1992، ص105.
- [6] الشديفات، الاستيطان في شمال شرق الأردن ، ص 97 .
- [7] علي ، المفصل ، ج 3 ، ص 6 ؛ سارتر ، التنقل والإقتصاد ، 192 .
- [8] توفيق، قيس حازم، الموارد المائية في مملكة الأنباط، مجلة دراسات في التاريخ والآثار كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق ، العدد(9) لسنة 2008، ص523.
- [9] القيافة: ويقصد بها الاهتمام بآثار الأقدام أو الحوافر أو الاخفاف على الثرى والرمال وغيرها، فضلا عن الاستدلال على مواقع تواجد المياه في باطن الأرض، وقد بلغ العرب ومنهم الأنباط في هذا المجال شأنًا عظيمًا ولهم فيها نواذر عجيبة، للمعلومات ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصرية، بيروت، 2010، ج5 ، ص2608.
- [10] الأثري، محمد بهجة ، علم أنباط المياه الخفية عند العرب ، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجمع العلمي العراقي ، مجلد (39) لسنة 1988، ص76.
- [11] الملاط :هي مادة تشبه الأسمنت لاصقة، تتكون من الفخار المطحون والرمل والجص والتربولي والرماد البركاني، استخدم لطلاء الآبار والسدود والخزانات ، لمنع تسرب المياه وللتقليل من عملية تبخرها، للمعلومات ينظر: الشباطات، علي سلمان، الإدارة البيئية عند الادوميين والانباط ما بين القرن التاسع قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، سوريا ، مجلد (25)، العدد (2 و1)، لسنة 2009، ص327.
- [12] توفيق، الموارد المائية ، ص 21525 Browning, I., Petra, chatto and windus, London, 1982, P.
- [13] الانجاصي هو من الأشكال الهندسية، نَقَرَه الأنباط على شكل حبة الأجاص، صُمم بحيث لا تتعدى قطر فوهة البئر عن (80 سم)، بينما وصل قطر قاعدته من (5 الى 6 متراً) . للمزيد ينظر: الشباطات ، الإدارة البيئية ، ص 329 .
- [14] الإدارة البيئية ، ص301.
- [15] الفرجات، نظام الري عند الأنباط في منطقة الحميمة ، الحولية الأثرية السورية ، دائرة الآثار العامة ، سوريا ، مجلد (35)، لسنة 1991، ص21.
- [16] الشباطات، الإدارة البيئية ، ص 323 .
- [17] نبع السيف: عين ماء تقع في وادي السيف عند الطرف الغربي من البتراء. للمزيد ينظر: الخشالي، فرحة هادي عطوي، الحياة الاقتصادية في ممالك الشام قبل الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العراق 2004، ص49.
- [18] نبع عين موسى: عين ماء تقع إلى الجنوب الشرقي من البتراء بـ (7 كم) يصب ماءها في بركة الرملة الخزان الرئيس لمدينة البتراء. للمعلومات ينظر: هاردنج، لانكستر، آثار الأردن، ترجمة: سليمان موسى ، منشورات اللجنة الأردنية للتعريب ، عمان ، ص154.
- [19] علي ، المُفَصَّل ، ج7، ص211 ؛ العزيز ، حسين قاسم، التطورات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية لعرب شبه الجزيرة قبل الإسلام ، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد (17)، لسنة 1973، ص192.
- [20] أبو الحمام، عزام ، الأنباط تاريخ وحضارة ، ط1، دار أسامة ، عمان، 2009، ص181.

- [21] الفرجات، نظام الري ، ص22.
- [22] Glueck, N., Rivers in the desert, New York, norten, 1959, P. 256.
- [23] جاوا: مدينة نبطية تقع شمال الأردن الحالي. للمعلومات ينظر: الخشالي، الحياة الاقتصادية ، ص60.
- [24] الخطاطبة، محمد فاضل ، عمارة الأنباط السكنية، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض، 2006، ص62.
- [25] الخشالي، الحياة الاقتصادية ، ص 62 ؛ أبو الحمام، الأنباط ، ص181.
- [26] نظام الري ، ص21.
- [27] أحمد، بشرى جعفر ، الموارد الاقتصادية لمملكة الأنباط ، مجلة دراسات في التاريخ والآثار ، كلية الآداب، العراق ، العدد (9)، لسنة 2008، ص503 ؛ الشديفات، الاستيطان في شمال شرق الأردن ، ص97.
- [28] أحمد، الموارد الاقتصادية ، ص 505 ؛ الشباطات، الإدارة البيئية ، ص323.
- [29] نظام المصاطب الحجرية وجد في الجي وبراقي وعيلمون بالقرب من البتراء، يعمل هذا النظام على أبطاء جريان مياه الأمطار على السفوح لمنع انجراف التربة. للمعلومات ينظر: المحيسن، زيدون ، الحضارة النبطية ، مطبعة السفير، عمان، 2009 ، ص71 .
- [30] الخطاطبة ، عمارة الأنباط ، ص 64 ؛ سارتر، التنقل والاقتصاد ، ص193 .
- [31] تليلات العنب: هي عبارة عن أكوام من الحجارة، وضعت على سفوح الجبال للتقليل من عملية انجراف التربة. للمعلومات ينظر: توفيق ، الموارد المائية ، ص524 .
- [32] العرعر: من الأشجار الضخمة دائمة الخضرة، تدخل ثماره في صناعة النبيذ، وتعد أشجار الأرز أحد أنواعه المشهورة الداخلة في الصناعات الخشبية ، نظراً لكبر حجمها وقوة لحانها، للمعلومات ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، ج4، ص2236.
- [33] الشباطات ، الإدارة البيئية ، ص 322 .
- [34] Mckenzie, J., "The architecture of petra" published For the british academy, by Oxford universitypress,1990_p_143.
- [35] الشباطات ، الإدارة البيئية ، ص327 ؛ الخطاطبة ، عمارة الأنباط ، ص63 .
- [36] أم البيرة : مدينة أدومية قديمة، عرفت باسم سلع، تقع إلى الشمال الشرقي من البتراء. للمعلومات ينظر: عباس، أحسان، تاريخ دولة الأنباط، ط1، دار الشروق للنشر مطابع الأرز، بيروت، 1987، ص22.
- [37] الفرجات ، نظام الري ، ص21.
- [38] شعث، شوقي ، الاقتصاد ودوره في بناء الحياة السياسية للأنباط ، الحولية الأثرية السورية، دائرة الآثار السورية ، مجلد (41)، لسنة 1997، ص76 .
- [39] الفرجات ، نظام الري ، ص21 ؛ الخطاطبة ، عمارة الأنباط ، ص62 .
- [40] الشباطات ، الإدارة البيئية ، ص327 ؛ أحمد، الموارد الاقتصادية ، ص507 .
- [41] الخطاطبة ، عمارة الأنباط ، ص63 ؛ المحيسن ، الحضارة ، ص73.
- [42] توفيق ، الموارد المائية ، ص525 ؛ أبو الحمام ، الأنباط ، ص181.
- [43] المحيسن ، الحضارة ، ص73 ؛ أبو الحمام ، الأنباط ، ص181.
- [44] Siculus, D., The library of Histiry, leiden, brill, 1972, Vol. XIX, P. 94.
- [45] Markoe, G., Petra lost city of the Nabataeans, New York, 1965, P. 9.
- [46] عباس ، تاريخ ، ص60 ؛ الملاح، هاشم يحيى ، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية ، بيروت، 2008 ، ص126 ؛ طقوش ، محمد سهيل، تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت ، 2009 ، ص357.
- [47] الشباطات ، الإدارة البيئية ، ص318 ؛ درادكه ، المياه والزروع ، ص109 ؛ بيزانسون، مروج الصحراء ، ص238.
- [48] سارتر ، التنقل والاقتصاد ، ص193؛ الخطاطبة ، عمارة الأنباط ، ص62.
- [49] بيزانسون ، مروج الصحراء ، ص238 ؛ فيلنوف ، فرانسو ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لقرى جبل حوران في العصر الروماني من خلال المعطيات الأثرية ، ترجمة: بشير زهدي، الحولية الأثرية السورية، مج(41)، لسنة 1997، ص171.
- [50] لوندن ، العلاقات الزراعية في سبأ ، مجلة دراسات تاريخية، ترجمة: أبو بكر السقاف ، جامعة صنعاء، العدد(2)، لسنة 1979، ص85.

- [51] بورسوك، جلين وارين، الأنباط الولاية العربية الرومانية، ترجمة: آمال محمد الروبي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006 ، ص126.
- [52] يحيى، لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص301 ؛ أحمد، الموارد الاقتصادية ، ص509.
- [53] الهاشمي، رضا جواد، تاريخ الإبل في ضوء المخلفات الاثرية والكتابات القديمة ، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد (23) ، لسنة 1978، ص185 ؛ Mcienzie, Op. Cit, P. 143.
- [54] أبو النصر، تاريخ الزراعة، ص19؛ علي، المفصل، ج7، ص 47 ؛ معيطي، علي محمد، تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، ط1 دار المنهل، بيروت ، 2003 ، ص74.
- [55] أبو النصر، الزراعة القديمة ، ص19 ؛ بورسوك ، الأنباط ، ص126.
- [56] الأحمد، سامي سعيد، الزراعة في العصور القديمة ، موسوعة الموصل الحضارية، جامعة الموصل، مجلد (1) لسنة 1991، ص177.
- [57] شعث ، الاقتصاد ودوره ، ص76 ؛ كفاي ، الأردن ، ص186.
- [58] ميلر، دروس ، بصرى في بلاد العرب ، مدينة نبطية ورومانية في بلاد الشام ، ترجمة: شوقي شعث، الحولية الأثرية السورية، مجلد (36و37)، لسنة 1986/1987، ص141 ؛ فيلنوف، الأوضاع الاقتصادية ، ص172.
- Kammerer, A., Petra et La Nabatene, librairie orientaliste paul geuthner, Jacob Paris,
- [59] 1929 .p-370.
- [60] شعث ، الاقتصاد ودوره ، ص76 ؛ المحيسن ، الحضارة ، ص72 .
- [61] الكبيسي، حمدان عبد المجيد ، إتقان الأنباط لحرفة زراعة الزيتون ، مجلة المجمع العلمي، مجلد (49)، ج1، لسنة 2002 ، ص73 ؛
- [62] Mckenzie Op. Cit, P. 119. 26.p 1978 Strabo, The geography, boulevardo raspail, paris, ,
- [63] المحيسن، الحضارة ، ص72 ؛ أبو الحمام ، الأنباط ، ص 179 ؛
- [64] Kammerer, Op. Cit, P. 370. Browning, Op. Cit , P. 40
- [65] Mckenzie, Op. Cit, P. 121; Browning, Op. Cit, P. 19.